كثير جداً لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب اهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب (جواهر القرآن) فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتيقنت ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . فكانت معرفتي بصدق النبي ضرورية كمعرفتك اذا رأيت رجلاً عربياً يناظر في مسئلة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فانك لا تتمارى في انه فقيه ويقينك الحاصل به اوضح من اليقين بقلب ألف عصا ثعابين لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيرها » انتهى المراد منه وقد حكم الامام بعد ذلك بأن ايمان العوام والمتكلمين ضعيف لانهم لم يسلكوا هذه الطريقة

﴿ شبهات المسيحيين على الاسلام ﴾

« وشبهات التاريخ على اليهودية والنصرانية »

كتبنا نبذة معنونة بهذا العنوان في الجزء الخامس ذكرنا في فاتحتها اننا طلاب مودة والتئام لا عوامل نزاع وخصام واننا لا نود ان يطعن أحد من المسلمين والنصارى في دين الآخر لان اظهار كل فريق محاسن دينه كافية في الدعوة اليه من غير حاجة الى الطعن فقد قام الاسلام بهذه الآداب ونما نمواً وانتشر انتشاراً سريعاً لم يعرف له نظير في التاريخ وذكرنا أيضاً ان اخواننا المسلمين اذا وافقونا على استعذاب هذا المشرب فان

المسيحيين لا يوافقوننا عليه لانهم يؤلفون الكتب والرسائل وينشرون الجرائد للطعن فى ديننا ويرسلونها الينا للرد عليها

وقد ألف بعض أدبائهم وعلماء دينهم نقولا افندي غبريل كتاباً جديداً فى الدعوة الى النصرانية والطعن فى الاسلام يمتاز على الكتب الاخرى بالنزاهة والخلو من الالفاظ التى تدعي شتماً وقد اهدانا هذا الكتاب لنتكلم عنه فى المنار ثم لقينا وطالبنا بان نكتب رأينا فيه وان كان ابطالاً لدعاويه ولقينا أيضاً بعض المبشرين رفقاء المؤلف وألح علينا بالكتابة إلحاحاً واكد القول بوجوبها تأكيداً . لاجرم ان المجادلة هى وظيفة هؤلاء الذين يعيشون بها فالبائع يطلب مشترياً والمجادل يطلب مجادلاً ولكن طلب الرد على الكتاب لم يقتصر على هؤلاء حتى قام يطلبه منا بعض اصحاب الجرائد من المسيحيين كرصيفنا الفاضل صاحب السعادة سليم باشا الحموى طلب ذلك منا قولاً وكتابة فى جريدته (الفلاح) الغراء ولا شك اننا اذا كلنا لهؤلاء المؤلفين الصاع بالصاع بان تجاوزنا حدود المدافعة الى المهاجمة يرون شبرنا ذراعاً وذراعنا باعاً فانه اذا لم يثبت دين الفطرة لا يمكن ان يثبت دين ، ولولا ان الاسلام محجوب عن الانظار بالمسلمين لاخذ به جميع عقلاء الاوربيين

يتبين ذلك لمن نظر فى الاديان الثلاثة من كتبها المقدسة مع معرفة تواريخ الذين جاؤا بتلك الكتب وسيرهم . وقد جرت لنا فى هذا الموضوع محادثة مع احد علماء التاريخ المسيحيين الجغرافيين الذين لا يتعصبون فى الحقيقة لدين . وكان موضوع الكلام « من هو اعظم رجال التاريخ » وفرضنا انفسنا غير معتقدين بدين فذكرت محمداً وذكر موسى وعيسى

(عليهم الصلاة والسلام) متفقين على انهم اعاظم الرجال مختلفين فى اعظمهم وافضلهم بحسب حاله وأثره التاريخى

فقلت ان موسى تربى فى بيت اعظم ملك فى العالم لذلك العهد على انه ابنه فنشأ فى مهد الملك والسلطان واشرب حب السيادة والحكم وشاهد سير المدنية، والعلوم الكونية والسحرية، وابصر فنون الصنائع، وتقلب فى ظل القوانين والشرائع، واظهرت عزة الملك ما اقتضاه مزاجه من الشجاعة والاقدام ثم لما بلغ اشده وصار لفرعون وآله عدواً وحزناً علم ان له أمة مضطهدة مهانة على ما منحته من ذكاء الفطرة والجد فى العمل وكثرة النسل فاتخذهم عصبية له وحاول تأسيس ملك نزعت اليه نفسه لما اعطته التربية الملوكية وظاهر فرعون وجالده أولا بالقوة التي كان يستولى بها على النفوس ويستعبد بسلطانها الشعوب وهى قوة الاعمال الغريبة التى نشأ فى حجرها ثم خرج عليه بقوة العصبية كما عهد من كثيرين فى ممالك متعددة وقد اعطانا التاريخ ان من الخارجين من يؤسس إمارة او مملكة فى داخل المملكة التى يخرج على سلطانها وموسى قد خرج من مصر هارباً بقومه من فرعون. أما عبور البحر وهي الغريبة التى لا يمكن ان تكون حيلة ولا شعوذة ولا سحراً ولا صناعة فقد بين بعض المؤرخين ان بنى اسرائيل عبروا البحر في نهاية الجزر من مكان قليل العمق ولما عبر فرعون بالمصريين كانت ثوائب المد قد أخذت بالزيادة والفيضان فغرقوا فيها. وقد جرى مثل هذا لنابليون بونابرت فانه عبر بعسكره البحر الاحمر فى وقت الجزر الى الشاطىء الثانى ولما أراد الرجوع الى شاطىء مصر كان المد قد ابتدأ ولولا انه أمر العسكر بأن يمسك بعضهم ببعض حتى تغلب قوة المجموع

قوة المدلغرقوا أجمعين وما عداهذا من غرائب موسى ففي نقله اشكالات ، وفي فهمه شبهات ، وفي دلالته على نبوته وكونه يتكلم عن الله تعالى نظر ، فاذا اقتنع به بعض من مضى لا يمكن ان يقتنع به من حضر . والشريعة التي جاء بها يشهد التاريخ بان اكثرها موافق لشرائع المصريين وما بقي منها فلا يكثر على من تربى مثل تربيته . وأعطى مثل ذكاء قريحته

واما عيسى فهو رجل يهودي تربى على الشريعة الموسوية وحُكم بالقوانين الرومانية واطلع على الفلسفة اليونانية فعرف مدنية ثلاث امم كانوا اعظم امم الارض مدنية واوسعها علما وحكما ولم يحمله شيء من ذلك على ان يشرع شريعة جديدة ولا ان ينشئ امة وانما كان خطيباً فصيحاً وعلق بذهنه شيء من افراط بعض فلاسفة اليونان في الزهادة وترك الدنيا بالمرة واذلال النفس لاجل نجاة الروح والدخول في ملكوت السماء فطفق يخطب بذلك وتبعه بعض الفقراء الذين وجدوا لهم بكلامه تعزية وسلوى وطفقوا ينقلون عنه بعض الغرائب كما هو المعهود من عامة الناس . وان ماينقل عنه من ذلك لا يبلغ عشر معشار ما ينقل عن احد اولياء المسلمين كالجيلي والبدوي . واما كونه ولد من غير أب فهي دعوى لا يمكن اثباتها الا بثبوت دين الاسلام بالبرهان العقلي لا بالغرائب وليس ذلك من موضوعنا الآن فالمؤرخ اذا أحسن الظن يقول ان عيسى هو ابن يوسف النجار زوج مريم وهذه الزوجية لا ينكرها النصارى . فموسى كان له اثر عظيم ولكن عيسى لا يعرف له التاريخ اثراً يذكر لا في العلم والاصلاح ولا في المدنية بل ان تعاليمه ومواعظه تؤدي الى فساد المدنية وخراب العمران والهبوط بالنوع الانساني من افقه الأعلى الى حضيض الحيوانية

السفلى لما فيها من تربية النفوس على الذل والمهانة والرضى بالخسف والهضيمة والامر بترك عمران الدنيا وترقيتها لاعتقاد ان الجمل يدخل فى سم الخياط ولا يدخل الغنيُّ ملكوت السموات . ثم هى من جهة ثانية تعاليم اباحة لانها تعلّم أن الذى يؤمن بصلب المسيح لاجل خلاصه هو الذى يختص بملكوت السماء وتمحى جميع خطاياه ومن اعتقد ذلك يستبيح كل محظور ويتبع هواه . ومن جهة ثالثة نرى هذه التعاليم وثنية لانها تأمر بعبادة البشر وتطفئ نور العقل لانها تكلفه بان يعتقد بثبوت ما يجزم بانه محال ككون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة وتذهب باستقلال الفكر والارادة اذ تجعلها مقيدة بسلطة الرؤساء بمقتضى قاعدة ان ما يحلونه فى الارض يكون محلولاً فى السماء وما يعقدونه فى الارض يكون معقوداً فى السماء

واما زعم ان المدنية الاوربية مدنية مسيحية فهو زعم منقوض بالبداهة لان هذه المدنية مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب والعزة والكبرياء والعظمة والتمتع بالشهوات . والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله بافراط بعيد . وما وصل الاوربيون الى ما وصلوا اليه الا بعد ما نبذوا التعاليم المسيحية ظهرياً . ولو ان هذه المدنية من اثر التعليم المسيحي لنشأت عنه بقرب نشأته ولكنها لم تظهر الا بعد بضع قرون من ظهوره . والنتيجة ان التاريخ لا يعرف للمسيح اثرا فى الكون يجعله فى رتبة الشارعين والمصلحين فى الامم

واما محمد (عليه الصلاة والسلام) فقد تربى يتيماً فى امة وثنية امية جاهلية ليس لها شرائع ولا قوانين ولا مدنية ولا وحدة قومية ولا معارف ولا صنائع وكان اعظم ارتقاء بلغته فى عهده ان وجد بضعة نفر تعلموا الكتابة بسبب اختلاطهم بالامم الاخرى ولم يكن هو منهم ولا السابقون

الى الايمان به ومع هذا أوجد امة ودينا وشريعة وملكا ومدنية فى مدة قريبة لم يعهد مثلها فى التاريخ

علم الناس ان يبنوا عقائدهم على قواعد البراهين العقلية وان تكون اداتهم واخلاقهم على صراط الاعتدال وان يقوموا بحقوق الروح والجسد وان يراعوا سنن الله فى الخلق والامم وبين لهم العبادات بآثارها فى تزكية الروح وتطهيرها ككون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لما اشترط فيها من الخشوع الخ واباح لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث وجعل المعاملات الدنيوية دائرة على درء المصالح وجلب المنافع . واطلق لهم حرية العقل والفكر وساوى بينهم فى الحقوق لافرق بين الملك الكبير والمملوك الفقير ولا بين الرجل والمرأة واعطى المرأة حرية التصرف فى املاكها ووضع حدوداً عادلة لتحكم الرجال فى النساء ولارقّ ونقح نظام الحروب فمنع البغي والتمثيل بالقتلى وقتل من لايقاتل كالنساء والشيوخ والاطفال ورجال الدين الخ ما ذكرته لذلك المؤرخ المحقق وسأفصل القول فيه فى دروس التوحيد الآتية ان شاء الله

وقد اذعن لى ذلك الفاضل بأن محمداً عليه افضل الصلاة والسلام اعظم رجال التاريخ الا انه احتج علىّ بسوء حال المسلمين وكونهم على خلاف ماذكرت فى وصف الدين الاسلامى فقلت له: ان بين الاسلام والمسلمين فرقاً كالفرق بين المسيحية والمسيحيين أوابعد. وحسبك ان المدنية الاسلامية ما وجدت الا بالدين الاسلامى (راجع مقالات مدنية العرب فى مجلد المنار الثالث) وكانت تتقلص عنهم كلما ابتدعوا فى الدين وانحرفوا عن صراطه حتى وصلوا الى ماهم فيه الآن. واما المدنية الاوربية التى يسميها بعض الناس

مسيحية فلم توجد الا بعد ما اتصل اهل اوربا بالمسلمين واخذوا كتبهم وترجموها وهم يزدادون ارتقاء في مدنيتهم كلما ازدادوا بعداً عن المسيحية . فقال هذا مبالغة في الجانبين وانفض المجلس

بقي ان ما تقدم من الشبه على نبوة سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام يتناول ايضاً نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا لانه يرد على دينه مثلما يرد على المعروف من دينهما بل لانه شهد لهما بالنبوة والهداية الالهية . وقد ذكرنا الجواب عن ذلك في نبذة (شبهات المسيحيين على الاسلام) التي نشرت في الجزء الخامس من هذه السنة . ولو انصف رجال الدين من اليهود والنصارى لتمسكوا بذلك الجواب واتفقوا عليه لانه لا يدفع عنهم اعتراضات علماء التاريخ والآثار المادية والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس الا هو . واما الجواب عن آية انفلاق البحر لسيدنا موسى فهو ان ما ذكره بعض المؤرخين من حديث المد والجزر فهو احتمال يرجح عليه اخبار الوحي الثابت بالبرهان الحقيقي الذي بيناه في درس التوحيد قبل هذه المقالة . وكذلك يقال في سائر الآيات وما يرد عليها من الشبهات . وسنجيب عما ذكرناه من اعتراض التاريخ على التعاليم المنسوبة الى المسيح

وحاصل ما نقوله الآن ان اثبات الدين إما ان يكون بنقل الآيات الكونية الخارقة للعادات المعروفة للناس وفيه النظر الذي تقدم في درس التوحيد وهو ايضاً مشترك بين الجميع لان كل امة تنقل عن شارعها مثل ذلك فما يقال في نقل هؤلاء يقال في نقل الآخرين على ان نقل المسلمين اقرب الى الصحة من نقل غيرهم لوجوه كثيرة منها ان العلم والتأليف والرواية

اللسانية معروفة فيهم من القرن الاول الى الآن ومنها انه لم يغلب عليهم عدوّ حرّق كتبهم وطمس معالم الثقة بدينهم وتاريخهم ومنها انهم لم يضطهدوا ويضطروا لكتم دينهم فيقال ان التلاعب حصل فى إبان الكتمان . ومنها انهم هم الذين اخترعوا وضع التاريخ للرجال لاجل معرفة صحة الرواية من عدمها ولم يكن لليهود ولا للنصارى مثل هذه المزايا . وإما ان يكون بالآيات النفسية والعلمية وهذا لا يظهر فى نبي كظهوره بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم كما بيناه فى درس التوحيد المنشور فى هذا الجزء وسنزيده بياناً فيما سيأتى كما وعدنا وحينئذ يكون البرهان الصحيح فى هذا الوقت على نبوة موسى وعيسى عليهما السلام شهادة نبينا لهما وان كان الله تعالى اعطاهما فى زمنيهما آيات تناسب حال الامم فيهما ولا يمكن ان تثبت الآن بنفسها ولذلك نرى كل من يتعلم ويعقل من المنتسبين اليهما ينبذها ظهرياً ويحسبها شيئاً فرياً ولو عرف الاسلام حق المعرفة لقبله وقبلها على وجه معقول

إذن ان افضل خدمة للدين المطلق ان يُعرف الاسلام حق المعرفة لتعرف اليهودية والنصرانية ايضاً على الوجه المقبول وذلك بالتوفيق بين التوراة والانجيل والقرآن كما وفقنا فى الجزء الخامس لا بالاستدلال بالقرآن على صدق التوراة والانجيل ثم الاستدلال بما يسمونه توراة من تلك الكتب الكثيرة التى ألف اكثرها بعد صاحب التوراة وبالكتب والرسائل الكثيرة التي يسمون مجموعها انجيلاً على تكذيب القرآن لان هذا الصنيع يعود على الموضوع بالنقض فيبطل الدليل نفسه واقل ما يقال فيه « تعارضا تساقطا » وتكون النتيجة ابطال الجميع اي ان القرآن هو الدليل على صحة التوراة والانجيل والقرآن ليس من الله (بزعمهم) فشهادته غير حق ودلالته غير

صحيحة . وسنعود الى الكلام على كتاب ابحاث المجتهدين وعلى جريدة بشائر السلام بما يؤلف بين الاديان ، ويدعو الى ازالة الاضغان ،

باب التربية والتعليم

﴿ التطويع والتحصيل بالجامع الاعظم ﴾

جاء فى جريدة (الحاضرة) التونسية الغراء تحت هذا العنوان ما نصه :

اخبرنا فى العدد قبل هذا بوقوع الامتحان السنوي للمترشحين من طلبة الجامع الاعظم لشهادة التطويع فى العلوم التى حواها برنامجه ووعدنا باقاضة القول والبيان فى هذا المبحث العظيم الشأن والآن وفاء بالوعد نقول:

إن ما للجامع الاعظم ام المدارس ودار العلوم الاسلامية وكعبة الطالبين بالمملكة التونسية وسائر الاقطار الشمالية الافريقية من الاهمية يجعل كل فرد من افراد الجامعة الاسلامية دبت فيه باقية من الغيرة والحمية لا يفتر عن تحويل انظاره الى مافيه تعزيز شأنه والاهتمام برفع مناره وتدعيم اركانه ولذلك كانت دار العلوم تلك محط رحال الامة ومتجه عناية الحكومات المتداولة على هذه الديار حرصاً على ما يجتنيه شبان الطلبة من رياضها من الثمار المهمة ولما ان الجامع الاعظم اصبح من عهد قديم مستودع اسرار العلوم وينبوع فوائد التحصيل فى المنطوق والمفهوم فلا غرو ان اتجهت لعمرانه الانظار واحله عقلاء الامة وفطاحل الرجال محلاً قصياً من الاجلال والاعتبار

اذا تمهد ذلك نقول : لا مراء فى ان المرء انما يسعى جهده ويكابد